الفصل الثاني

نشأة التعلم التعاونى وتطوره

* التعلم التعاونى فى الإسلام
* تطور الاهتمام باستخدام التعلم التعاونى
* بدايات التعلم التعاونى وتطوره

ـ الفرق بين التعلم التعاونى والتعلم التقليدى:

* العلاقة بين التعاون والتنافس والفردية
* الفرق بين التعلم الجماعى التقليدى والتعلم التعاونى
* ما لا يطلق عليه تعلم تعاونى

الفصل الثانى

نشأة التعلم التعاونى وتطوره

يلاحظ على عملية التعلم فى مختلف العصور أنها فى تغير مستمر فكل فترة زمنية تتميز بنوع من التعلم يختلف عن أى فترة أخرى وفى كل مرة يتنتقلون من مرحلة تعلم إلى أخرى أفضل منها، وذلك لاكتشاف فشلهم فى أنواع التعليم السابقة فعندما كان التعليم يعتمد على التلقين والشرح رأوا أنهم قد أهملوا عامل التفكير وركزوا على الحفظ فظهر التعلم القائم على إعمال العقل والمناقشة والتفكير وهكذا تتابعت الأفكار والآراء بحثاً عن تعلم أفضل. إلا أنهم كانوا دائماً يركزون فى دراساتهم على المادة المقدمة للتلميذ ونوعها ويعتبرونها العامل الهام فى تقدم أو تأخر التعليم وغفلوا عن نظام التدريس الذى ينص على التعلم الإنفرادى ويعامل الطلاب كأفراد كل على حدة ويتم تقويمهم تبعاً لذلك، إلا أنه وفى الآونة الأخيرة تنبهوا إلى الخلل المترتب على هذا النوع من التعلم وأوجدوا ما هو أفضل منه بل هو عكسه تماماً فالأول كان تعلماً انفرادياً يقوم على المجهود الشخصى لكل تلميذ وأما ما نحن بصدده الآن فهو التعلم التعاونى القائم على المشاركة والتعاون. ولقد كان للمدارس الأمريكية قدم السبق فى هذا المجال حيث بدأوا فى تقسيم الملاميذ إلى مجموعات يتعاون بعضها مع بعض فى حل الأسئلة ومناقشة المسائل والمشاركة بجميع أشكالها إلا أن فكرة التعلم التعاونى فكرة قديمة تناولتها الشعوب فى تعليم أفرادها المهن والحرف المختلفة وتخصص بعض العلماء فى هذا المجال وأدخلوه إلى مجال التربية ومنهم: فرانسيس باركر الذى نادى بالتعاونية وتلاه جون ديوى ثم ظهر كورت كوفكا ليؤكد على أن المجموعات هى كليات دينامية متفاعلة متقابلة فيما بينها وهذه المجموعات هى كيانات مختلفة، ثم جاء كيرت ليفين ليقول بأن الاعتماد المتبادل بين أفراد كل مجموعة من المتعلمين هو أساس تكوين هذه المجموعة وقد أكد على ذلك تمليذه مورتون ديتش الذى أعد نظرية عن التعاون والتنافس فى نهاية الأربعينيات من هذا القرن، وفى بداية الستينيات كتب ديفيد جونسون - وكان تلميذاً لديتش - فى تطوير منهج جديد للعلوم يقوم على التعاون بين المتعلمين ثم بدأ ديفيد وروجر عملياً بتدريب المعلمين على كيفية استخدام التعاون فى الفصل المدرسى، وعموماً فقد كانوا يرون أن هذا النوع من التعلم ينتج عنه تعلم أكبر وعلاقات ايجابية بين المتعلمين وتزداد الصحة النفسية الايجابية للمتعلمين، وهكذا

كانت نظريات علم النفس الاجتماعى سبباً فى ظهور التعلم التعاونى ولاسيما أن التعلم التعاونى هو نوع من أنواع التعلم الجماعى الذى يخضع حالياً للدراسة والبحث وذلك للتعرف على مدى فائدته وجدواه بالنسبة للتلاميذ من حيث تحقيق أهداف التعلم والتطبيع الاجتماعى.

التعلم التعاوني فى الإسلام:

حث الإسلام على التعلم التعاونى من منطلق التعاون، والتعاون فى الإسلام شاملاً لكل شىء فيه بر وتقوى حيث قال جل وعلا ﴿ وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان ﴾.

أى نتعاون مع بعضنا إلى ما فيه الصلاح والخير للبشرية ولا يضر بأحد والتعلم التعاونى يقع تحت مظلة التعاون فى الإسلام أى أن التعلم التعاونى دعا إليه الإسلام ورغب فيه فقد كان الرسول ﷺ يكلف كتاب الوحى الصحابة رضوان الله عليهم حيث كان أُبِى بن كعب ومعاوية بن أبى سفيان وزيد بن ثابت يتعاونون على كتاب الوحى فيما بينهم ويتراجعونه ويدونونه فقد كان بمقدروه الرسول ﷺ يستطيع أن يكلف هذا العمل واحداً من الصحابة لكنه ﷺ يدرك أن التعاون أبلغ وأسرع.

ولأهمية مبدأ التعاون فى تربية الفرد وبناء المجتمع جعل الإسلام للتعاون أجراً عظيماً واعتبره من الصدقات التى يثاب عليها فاعلها... قال رسول الله ﷺ: «يعين ذا الحاجة الملهوف، كما قال ﷺ: «وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة».

ومن صور التعاون والتكامل فى المجتمع المسلم تعاون الأنصار مع المهاجرين حيث كان المهاجرون من أحوج الناس إلى أنصار يتعاونون معهم لغربتهم وفقرهم.. فوافق ﷺ على اقتراح الأنصار عند قولهم: «تكفونا المؤونة وتشاركوننا فى التمر».

وفى قصة تحرر الصحابى الجليل سليمان الفارسى ظهرت أسمى صور التعاون بين المسلمين حيث وجههم ﷺ إلى إعانة سليمان وكان سيده قد طلب منه ثلاثمائة نخلة يزرعها ومالاً يؤديه ليحرره، فتطوع الصحابة رضوان الله عليهم بالنخل وأعانوه على الحفر وأعانه ﷺ معهم على زراعتها وزوده بقطعة من ذهب من غنائم المغازى ليؤدى ما عليه.. وبذلك اعتق سليمان رضى الله عنه.

تطور الاهتمام باستخدام التعلم التعاونى:

التعلم التعاونى ليس فكرة جديدة، بل هو قديم قدم الجنس البشرى، حيث يقوم الناس بأعمال تعاونية طوال التاريخ الإنسانى، وتمكنوا من تنظيم الجهود وتنسيقها فيما بينهم لتحقيق أغراضهم كالصيد وإنشاء المخازن وبناء الحظائر.

وإذا قرأنا فى التاريخ الإسلامى وجدنا أن الإسلام قد حث على التعاون بين الناس، وذلك لحكمة عظيمة شعرنا بقيمتها وأهميتها فى الماضى، وتحث على درجة ارتفاعها فى الوقت الحاضر.

وقد أيقن العلماء قديماً طبيعة التعاون وأهميته للإنسان ولذلك يرى ابن خلدون أن الاجتماع الإنسانى ضرورى، وأن الإنسان مدنى بالطبع، أى لابد له من الاجتماع، وذلك لسببين:

الأول: اضطرار الإنسان إلى التعاون مع أبناء جنسه للحصول على حاجته من الغذاء.

الثانى: اضطراره إلى التعاون معهم لدفع خطر الحيوانات الضارة.

واستخدام التعلم التعاونى لم يكن جديداً فى الممارسات التربوية، فقد وجدت دورات تدريبية فى التعلم التعاونى تدافع بشدة عن استخدامه فى الفصل الدراسى.

وقد أوصى فرنسيس باركر فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر باستخدام التعلم التعاونى، ودافع عنه بإخلاص وحماس لأنه يساعد على تحقيق الديمقراطية بين التلاميذ فى الفصل الدراسى.

وبناء علي توصية باركر عادت الحيوية والنشاط إلى المدرسة عن طريق خلق مناخ تعاونى فى الفصل الدراسى.

وأكد باركر فى الأسلوب التعليمى الذى قدمه أن الأطفال يشتركون بطبيعتهم فى الأنشطة. وأعلن سروره بعد أن اكتشف وجود دافعية لدى التلاميذ لمساعدة زملائهم.

واتبع جون ديوى فى أوائل القرن العشرين ـ أسلوب باركر ـ حيث استخدم الجماعات التعاونية فى الفصل الدراسى، وجعل هذا الأسلوب جزءاً من مشروعه المشهور فى أساليب التعلم.

لقد اقتضى فكر [ديوى] أن يوفر المعلمون فى فصلوهم وبيئاتهم التعليمية نظاماً اجتماعياً يتسم بإجراءات ديمقراطية وبعمليات علمية وأن يثيروا دوافع الطلاب ليعملوا متعاونين ولينظروا فى المشكلات الاجتماعية اليومية الهامة واهتمامهم بالتعلم فى مجموعات صغيرة لحل المشكلات وأن يتعلم الطلاب من خلال تفاعلاتهم اليومية الواحد مع الآخر كما يشير إلى أن هربرت ثيلين قد طور أيضاً إجراءات أكثر دقة لمساعدة الطلاب على العمل فى جماعات وأن الدراسة يجب أن تكون معملاً أو مختبراً أو ديمقراطية مصغرة هدفها بحث المشكلات الاجتماعية وقدم تصوراً ومفاهيم للتصورات الجديدة فى التعلم التعاونى ولقد تعدى التعلم التعاونى كما تصوره ديوى وثيلين الاهتمام بتحسين التعلم الأكاديمى، إلى الاهتمام بالسلوك التعاونى والعمليات التعاونية باعتبارها جزءاً لا غنى عنه من المسعى الإنسانى.

وتعرض دوب ومای للتعاون والتنافس من خلال نظريتهما الاجتماعية والاقتصادية. كما وضع بارنارد (١٩٣٨) نظرية شاملة لطبيعة النظم التعاونية.

واشترك دافيد جونسون بخبرته فى علم النفس الاجتماعى التربوى مع روجر جونسون بخبرته فى المناهج وطرق التدريس فى بحوث مشتركة معتمدين على نظرية دويتش من سنة ١٩٦٩ ـ ١٩٩٠م وتعاونا فى إنشاء مركز للتعلم التعاونى بجامعة منيسوتا بأمريكا.

كانت بداية التعلم التعاونى عام ١٩٠٠م على يد العالم كيرت كوفكا Kurt Kafka أحد واضعى نظرية الجشتالت Gestalt فى علم النفس، الذى أكد على أن المجموعات وحدات كاملة نشطة يختلف فيها الاعتماد المتبادل بين الأعضاء.

وقد قام كيرت ليوين Kurt Lewin ١٩٣٥ ـ ١٩٨٤ بتطوير أفكار كوفكا حول النقاط التالية:

ـ أساس المجموعة هو الاعتماد المتبادل بين الأعضاء.

ـ حالة التوتر الداخلى لدى الأعضاء تدفعهم إلى العمل على تحقيق الأهداف المشتركة المرغوبة.

وقام مورتين دويتش Morton Dentsch بصياغة نظرية التعاون التنافسى فى عام ١٩٤٩ ـ ١٩٦٢م... وقام ديفيد جونسون وروجر جونسون ـ كما ذكرنا سلفاً ـ

بتطوير أفكار دويتش لتصبح نظرية: الاعتماد المتبادل الاجتماعى (١٩٧٠ ـ ١٩٧٤).

بدايات التعلم التعاونى وتطوره:

بدأ الاهتمام بالتعلم التعاونى منذ عام ١٩٠٠م ـ كما سبق أن ذكرنا ـ إلا أن الدراسات والأبحاث لم تبدأ بالتركيز على تطبيقاته داخل الفصل الدراسى حتى بداية السبعينات، وقد تم تطوير أنماط مختلفة لتطبيق التعلم التعاونى فى الفصل الدراسى.

فمن هذه الطرق طريقة فريق العمل الطلابى Team Learning Student طورها سلفيان معتمداً على نظريات علم النفس (Slavin 1983) و (Slavin 1989)، وكذلك طور ديفيد وروجر طريقة التعلم معاً بناء على نظريات علم النفس الاجتماعى (Johnson. R. T&D. W. Johnson).

كما طور جونسون أسلوب التدريس لمجموعات العمل Instruction Approach Complex مستمداً ذلك من نظريات علم الاجتماع (Cohen, 1994) و غير ذلك من الطرائق المختلفة التى تعتمد جميعها على مشاركة المجموعة فى التعلم بدلاً من التعلم الانفرادى.

وقد قامت كثير من الأبحاث بدراسة هذه الطرق مقارنة بعضها بالبعض الآخر أو عبر مقارنتها بنظام التعلم التقليدى، وقد أظهرت هذه الأبحاث نتائج متباينة، إذ وجد بعضها أن التعلم التعاونى كان تعلماً فعالاً فى زيادة التحصيل الدراسى بينما أظهرت دراسات أخرى أنه لم يكن هناك فرق فى التحصيل الدراسى بين درجات الطلاب فى التعلم التعاونى وبين الطلاب فى التعلم الفردى.

إلا أن أغلب الدراسات أكدت أن التعلم التعاونى كان له الأثر الإيجابى على الاتجاه وبناء الثقة بالنفس وفى بناء اتجاه جيد نحو الزملاء والمدرسة، وبالإضافة إلى أنه ساعد على تطوير العلاقات الاجتماعية المختلفة بين مجموعات الطلبة.

ومن أهم الأشخاص الذين دعموا فكرة التعلم التعاونى بطريقة غير مباشرة كان جان بياجيه ـ العالم النفسى الشهير، والذى كان له أكبر الأثر على المناهج، وتنظيم سلم التعليم، حيث إن نظرية بياجيه تؤكد أن الأطفال يكتشفون المعنى ويكونون شخصيتهم بناء على أوجه التشابه والاختلاف بينهم وبين الآخرين، حيث يعمل الطفل أثناء التفاعل ضمن مجموعة كموصل ومستلم للتعليمات والمعلومات.

إن ذلك التفاعل الذى ينتج عنه كثير من التفاوض والمناقشة يؤدى إلى تنمية مهارة الاستماع، وتعلم كيفية الوصول إلى حل وسط وغيرها، وهذا يساعد فى غرس وتشجيع المهارات اللازمة لبناء الفرد.

وهذا غير ما رآه العالم فيجوتسكى Vygotsky صاحب نظرية تأثير المجتمع على النمو العقلى، الذى شجع نوعاً آخر من التعلم التعاونى فقد اختلف عن بياجيه بأنه أصر على دور المجتمع فى كسب الطالب للعلم، ورأى أن التعلم يحصل فى أفضل صوره تحت إشراف وتعاون الذين لديهم خبرة أكثر.

كما نادى بأن التدريس لابد أن يركز على إتاحة الفرصة للطلبة للتفاعل مع ذوى الخبرة، وركزت نظريته على أن الطلبة لابد أن يوضعوا فى مواقف تسمح لهم بالتعاون مع الأشخاص الأقدر.

(مثال: تشجيع الرحلات المدرسية، دعوة المسؤولين إلى الفصل الدراسى..) حيث إنه يرى أن التعلم من الشخص الأكثر خبرة ينتج عنه اكتساب الطالب لمعلومات أكثر، ويمكنه من معالجة المشاكل بصورة أكثر تركيزاً مما يساعد الطالب على النمو والتطور وهذا عكس الطلبة الذين يعملون على انفراد ويتلقون التعلم التقليدى.

إلا أن التعلم التعاونى لا ينجح بمجرد تطبيق فكرة التعلم التعاونى فإن النجاح أو عدمه يعتمد على كيفية تطبيق التعلم، ومدى وعى من يطبقه بأبعاده، وقد ناقشت العديد من الدراسات العوامل المختلفة التى تساعد على نجاح هذا النوع من التعلم.

إذ يرى جونسون وزملاؤه (Johnson & Holubec& Johonson 1993) أن التعلم التعاونى لا يتحقق بمجرد وضع الطلبة فى مجموعات، حيث يجب على المعلمين أن يكونوا على وعى كامل بكيفية تقديم المواقف المطلوبة بشكل تعاونى.

ويشير (جابر عبدالحميد، ١٩٩٩م) إلى أن نموذج التعلم التعاونى قد تأثر بأفكار (جون ديوى، ١٩١٦) التى كتبها فى كتابه: الديمقراطية والتربية (Democratic and Education)، وبيّن أن حجرات الدراسة ينبغى أن تكون مرآة تعكس ما يجرى فى المجتمع الأكبر، وأن تعمل كمختبر لتعلُّم الحياة اليومية، ولقد اقتضى فكر (ديوى) أن يوفر المعلمون فى فصولهم وبيئاتهم التعليمية نظاماً اجتماعياً يتسم بإجراءات ديمقراطية وبعمليات علمية، وأن يثيروا دوافع الطلاب ليعملوا متعاونين ولينظروا فى المشكلات

الاجتماعية اليومية الهامة، واهتمامهم بالتعلم فى مجموعات صغيرة لحل المشكلات، وأن يتعلم الطلاب من خلال تفاعلاتهم اليومية الواحد مع الآخر.

كما يشير إلى أنّ هربرت ثيلين ("Herbert Thelen"، ١٩٦٠) قد طوّر أيضاً إجراءات أكثر دقة لمساعدة الطلاب على العمل فى جماعات. وأن الدراسة ينبغى أن تكون معملاً أو مختبراً أو ديمقراطية مصغرة هدفها بحث المشكلات الاجتماعية، وقدّم تصوراً ومفاهيم للتطورات الجديدة فى التعلم التعاونى.

ولقد تعدّى التعلم التعاونى ـ كما تصوّره ديوى وثيلين ـ الاهتمام بتحسين التعلم الأكاديمى، إلى الاهتمام بالسلوك التعاونى والعمليات التعاونية باعتبارها جزءاً لا غنى عنه من المسعى الإنسانى، يمكن أن تنشأ على أساسه المجتمعات الديمقراطية، والطريق المنطقى لتحقيق هذا هو تنظيم أنشطة التعليم الصفى بطرق تجعلها نموذجاً للمخرجات المرغوب فيها. والاتجاهات التربوية المعاصرة تؤكد على الطبيعة الاجتماعية للتعلم بدرجة أكبر، وتدعم استخدام التعلم التعاونى.

ويعتبر التعليم التعاونى نظاماً حديثاً إلا أن فكرته قديمة - كما ذكرنا سلفا - ويمكن للمرء أن يجد أصول بعض جوانبه فى بعض الجامعات فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية منذ أكثر من مائة عام حيث كانت الجامعات تعد طلابها لاكتساب خبرة عملية فى الصناعة خلال أشهر الصيف. يضاف إلى ذلك، أن بعض الكليات الجامعية مثل الطب والقانون، دأبت على إضافة فترات تدريب عملى لطلابها ضمن أو بعد فترات الدراسة الأكاديمية الرسمية.

وبداية تطوير فكرة التعليم التعاونى كانت فى جامعة سينسناتى بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٠٦م. وعلى الرغم من أن تطبيق التعليم التعاونى بدأ فى كندا بعد ذلك التاريخ بفترة طويلة؛ إلا أن تجربة كندا أصبحت رائدة فى هذا المجال ونموذجاً حياً لبرامج التعليم التعاونى الناجحة فى العالم. فقد بدأ تنفيذ نظام التعليم التعاونى فى جامعة وترلو الكندية فى عام ١٩٥٧م. وكانت الجامعات الكندية التقليدية تعتقد حينئذ أنه من المستحيل دمج القيم الأكاديمية التقليدية مع أى التزام تجاه الصناعة دون الإخلال بتلك القيم والإضرار بالتفوق الأكاديمى، إلا أن تجربة التطبيق

فى جامعة وترلو أظهرت بعد فترة وجيزة أن التعامل مع الصناعة لا يتعارض بأى حال مع التفوق الأكاديمى، بل إنه يرسخ ويزيد من فرص ذلك التفوق.

ويلاحظ أن جامعة وترلو بدأت بتطبيق نظام التعليم التعاونى فى كلية الهندسة حيث أن الصلة واضحة بين هذه الكلية والتعليم التعاونى. ثم توسعت فى تطبيقه بالتدرج على طلاب الفيزياء والكيمياء والرياضيات. ومع بداية السبعينات الميلادية بدأت تتوسع أكثر فى تطبيق هذا النظام ليشمل العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية. ونتيجة لهذا التوسع أصبح عدد المسجلين فى برامج التعليم التعاونى فى هذه الجامعة أكثر من عشرة آلاف طالب فى عام ١٩٩١م. وأصبحت برامج التعليم التعاونى بجامعة وترلو من أكبر البرامج من هذا النوع فى العالم حالياً.

ومع تنامى حاجة البرامج التعليمية إلى التدريب العملى كوسيلة نحو ملاءمة التعليم بالاحتياجات، فإن مستقبل التعليم التعاونى يظهر واعداً بشكل أكبر فإعداد مؤسسات التعليم التعاونى أخذ تتنامى بصورة مطردة وبخاصة فى مجال التعليم الجامعى، بسبب أن هذا النمط من التعليم ينسجم بصورة كبيرة مع احتياجات سوق العمل. فعلى سبيل المثال، زاد عدد طلبة التعليم التعاونى (الساندودش) فى بريطانيا من ١٣٨٨٥٧ طالباً فى عام ١٩٩١/١٩٩٢م إلى ١٥٣٧٣٣ طالباً فى عام ١٩٩٢/١٩٩٣م بمعدل زيادة قدره ١٠,٧ ٪. كما بلغت نسبة الطلبة فى مجال التعليم التعاونى التقنى والجامعى إلى إجمالى الطلبة فى بعض التخصصات كالتالى إدارة الأعمال (٣١ ٪) ـ الهندسة والتقنية (٢١ ٪) ـ الكمبيوتر والرياضيات (١٦ ٪) ـ علوم البيئة (١٢ ٪) ـ العلوم (١١ ٪). وفى الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أكثر من ٥٠٠ جامعة وكلية تعمل على تقديم برامج التعليم التعاونى، يشاركها فى ذلك أكثر من ٧٩,٠٠٠ شركة ومؤسسة ووكالة حكومية تعمل على توظيف الطلبة التعاونيين.

إلى جانب أمريكا وكندا وبريطانيا، وهى دول رائدة فى مجال التعليم التعاونى اتجهت حديثاً دول متقدمة وأخرى نامية إلى تطبيق هذا النظام.

ولقد ظهر مفهوم التعلم التعاونى منذ أوائل القرن العشرين ـ كما ذكرنا سلفاً ـ ففى عام ١٩٢٩ ظهر كتابين لميلر أحدهما عن التعلم التعاونى وفى نسة ١٩٣٧ ظهر كتاب كل من ماى ودوبز تناول موضوع التعلم أيضاً فى حين قدم ديتش فى سنة ١٩٤٩ نظرية للتعلم التعاونى.

وفى سنة ١٩٦٣ نشر كل من ميلر وها مبلين عدد أربعة وعشرين دراسة مرتبطة بالتعلم التعاونى وفى الفترة من سنة ١٩٧٠ حتى سنة ١٩٧٤ نشر جونسون وجونسون بحثاً شاملاً عن التعلم التعاونى.

ومنذ سنة ١٩٨٩ وحتى سنة ٢٠٠٠م تم نشر أكثر من ٥٥٠ بحثاً تجريبياً فى التعلم التعاونى المختلفة وكان من بين هذه البحوث ١٠٠ بحث ارتباطى وصفى فى مجالات التعلم التعاونى والتعلم التنافسى.

ويرتبط التعاون بنكران الذات والغيرية وهو عكس الفردية المرتبطة بالأنانية ومحبة الذات.

فالفردية تنحصر فى منفعة خاصة تفيد فرد معين أو فرد واحد وهى تخالف الطبيعة الإنسانية لأن حاجات الإنسان هى علاقات اجتماعية متغيرة ولكل فرد ولاء لأسرته، وولاء لمجتمعه ولوطنه ولكل فرد إطار مرجعى معين.

إن الفردية الأنانية لا تمثل الشكل الغالب للعلاقات الإنسانية فهى دائماً مرتبطة بمضمون اجتماعى يتخطى حدود الفرد. وتوجد أنانية جماعية مثل الأنانية الفئوية والأنانية العائلية. والفردية تقوم على التنافس بين أفراد المجتمع وهذا التنافس قد يحقق بعض الأهداف الفردية على حساب الأهداف الجماعية.

والتعاون يعتبر متطلباً ضرورياً لتحقيق أهداف المجتمع فهو يقوم على التعاطف والمشاركة وإنكار الذات لدى أفراد المجتمع.

والتعاون من القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية المرغوبة وقد حث الله الإنسان على التعاون فقال عز من قائل ﴿وتعاونوا علي البر والتقوي ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان﴾ وهذه القيمة بالرغم من انتشار معرفتها فى كل المجتمعات المتحضرة والنامية إلا أننا لا نعد أبنائا إعداداً يساعدهم لتمثل هذه القيمة المهمة وتطبيقها والنظام التعليمى هو المسئول عن إعداد الأفراد للحياة بعد مسئولية الأسرة.

وقد ظل النظام التعليمى فى الوطن العربى الذى يركز على التنافس بين التلاميذ حيث كانت بعض تصرفات التلاميذ داخل الفصل حتى عهد قريب لا تظهر أى نوع من التعاون بين التلاميذ وبعضهم فى حل الواجبات المنزلية ومثل هذه الأمور تعتبر غير مرغوبة وما زال العديد من المعلمين لا يؤمنون بروح التعاون بين التلاميذ وخاصة فيما يتعلق بالجوانب التقويمية والامتحانات.

وفى نهاية القرن العشرين أصبحت مدارس التعليم فى دول العالم المتقدم تعتمد فى برامجها التعليمية على التدريس باستخدام استراتيجية التعلم التعاونى وهذه الاستراتيجية تتطلب أن يعمل التلاميذ ويتدارسون المقررات الدراسية معاً وفى نفس الوقت يتعلمون مهارات التفاعل المشترك مع بعضهم البعض الآخر.

ويعتمد نجاح استراتيجية التعلم التعاونى على تحقيق التلاميذ لأهداف التعلم من خلال تعاونهم البعض مع الآخر بحيث يكون كل تلميذ ليس مسئولاً عن نجاحه فقط بل نجاحح باقى زملائه أيضاً.

وهذه الاستراتيجية تهتم بتحقيق مايلى:

* الاعتماد المتبادل الإيجابى بين تلاميذ المجموعة المتعاونة عن طريق مشاركة مجموعة التلاميذ فى أداء المهام المطلوب أدائها بتقسيم خطوات العمل على بعضهم البعض الآخر.

* أن تكون للمجموعة المتعاونة إجابة واحدة عن كل سؤال فى أى اختبار ويعطى كل تلميذ فى المجموعة نفس الدرجة على الاختبار.

* أن يعتمد نجاح التلميذ على نجاح كل تلميذ فى المجموعة المتعاون بنفس الدرجة.

ونتيجة لثورة الاتصالات والتقدم الصناعى العالمى وازدياد التنافس بين الكيانات الكبيرة فقد ازداد الاهتمام فى الوقت الراهن بالأداء الجماعى الجيد ولذلك فقد أصبح من الضرورى تنمية جوانب التعلم الذاتى لدى المتعلم مع التركيز على زيادة مسئولية التعلم على المتعلمين وتخفيفها على المعلم، وبظهور التعلم التعاونى الذى دعا إلى تحويل طرق التعليم من إلقاء المعلم للدروس إلى مشاركة المتعلمين بعضهم البعض فى اكتساب المعرفة، وهذه الطرق تنتج نوع من أنواع التعلم يتيح الفرص لمجموعة من المتعلمين يتراوح عددها بين ٣، ٩ أفراد للتعلم من بعضهم البعض داخل مجموعات متعاونة يتعلمون من خلالها بطريقة جماعية معلومات وخبرات تربوية تؤدى بهم فى النهاية إلى بلوغ الهدف.

الفرق بين التعلم التعاونى والتعلم التقليدى

بدأ الاهتمام الفعلى بالتعلم التعاونى ـ كما ذكرنا ذلك سلفاً ـ فى أوائل الثمانينات وزاد ا لاهتمام به كاستراتيجية فى التسعينات ويرجع ذلك إلى إمكانية استخدامها كبديل للتعلم التقليدى الذى يؤدى إلى التنافس بين المتعلمين بدلاً من روح التعاون.

وقبل استعرض أهم الفروق بين التعلم التعاونى والتعلم التقليدى نشير إلى بعض الأمور الهامة وهى:

- العلاقة بين التعاون والتنافس والفردية.
- الاستخدام المناسب للتعلم التعاونى والتعلم التنافس والتعلم الفردى.
- الفرق بين التعلم الجماعى والتعلم التعاونى.
- التعلم التعاونى والتعلم الذاتى.
- ما لا يطلق عليه تعلم تعاونى.

وذلك حتى يتبين لنا بوضوح الخصائص الهامة التى يتميز بها التعلم التعاونى عن أشكال التعلم الأخرى.

العلاقة بين التعاون والتنافس والفردية:

تشير الدراسات السابقة إلى أن التعاون والتنافس يعدان متقابلان فى نهاية خط واحد ولذلك قد يكون الفرد اجتماعياً ولديه قدرة على التعاون والتنافس، بينما يمكن، أن يتجنب الناس ولا يتعامل معهم ومن ثم يمكن أن يفترض أن التنافس غير التعاون، وبناء على ذلك تكون اتجاهات التلميذ نحو التعاون والتنافس مستقلاً عن الآخر، وقد تكون العلاقة بين التعاون والفردية سالبة لأن التعاون تفاعل إيجابى مع الآخرين، والفردية تجنب التفاعل الإيجابى أو السلبى مع الآخرين. وقد يكون هناك ارتباط بين التنافس والفردية لأن كثيراً من الأنشطة يمكن أن يؤدى فردياً.

كما تشير الدراسات إلى أن الأنواع الثلاثة من الاعتماد الاجتماعى المتبادل قد لا تكون أحادية البعد، وتحتاج إلى مزيد من معرفة طبيعة العلاقة بين هذه المتغيرات الثلاثة.

ونخلص من ذلك أن هناك اختلافاً فى نتائج الدراسات فى أن التعاون والتنافس

والفردية فى نهاية خط واحد متصل أو متغيرات مستقلة عن بعضها، وما زالت الدراسات لم تصل إلى نتيجة موحدة أو متفق عليها.

الاستخدام المناسب للتعلم التعاونى والتعلم التنافسى والتعلم الفردى:

فى كل صف دراسى، وبغض النظر عن نوع المادة الدراسية، أو عمر الطلاب يجب على المعلم صياغة دروس تساهم فى تنمية الأهداف التالية:

١ ـ مساعدة الطلاب على العمل داخل مجموعات صغيرة بغية وصول جميع أفراد المجموعة إلى مستوى الإتقان.

٢ ـ دخول الطالب فى مسابقات تقوم على أساس المنافسة من أجل المتعة بدلاً من التنافس ا لذى يبنى على أساس الفوز والخسارة.

٣ ـ إتاحة الفرصة أمام الطالب للعمل بشكل فردى لتحقيق أغراض خاصة بالطالب، وفى ضوء قدرته الخاصة ثم تحديد مدى قرب الطالب أو بعده من معايير الامتياز ا لتى حددت بشكل مسبق.

وهكذا يتضح لنا أن الأغراض الثلاثة السابقة تركز على أهمية استخدام التعلم التعاونى، والتعلم التنافسى، والتعلم الفردى، وتحتل الطرق التى تستخدم أهداف التعلم الثلاثة السابقة بشكل متوازن داخل الصف مكانة هامة فى برامج تدريب ا لمعلم، أن هذا المسعى يمكن تحقيقه إذا ركزت عمليات التدريب على الاستخدام المناسب لتفاعل الطالب/ الطالب.

لذا فإنه يقع داخل نطاق المهارات التعليمية الهامة التى يحتاج إليها المعلم هنا معرفة: كيف؟ ومتى يصيغ المعلم أهداف التعلم التعاونى والفردى والتنافسى؟

وللمعلم الحق فى صياغة المهمة التعليمية بشكل فردى أو تنافسى أو تعاونى.. فالصياغة المقترحة للمهمة التعليمية تحدد الكيفية التى يتفاعل بها الطلاب مع بعضهم البعض، والتى تحدد بدورها النتائج المطلوب الوصول إليها.

ولقد أهمل التعلم التعاونى فى الـ ٤٥ عاماً الأخيرة الماضية بينما قامت الجهود على التعلم الفردى والتعلم التنافسى من قبل المعلمين.

سيناريو: براندون

كان براندون طالباً تعيساً فى الصف الثانى الإعدادى. وكان معلمه فى مادة

العلوم يستخدم أسلوب التعلم التعاونى معه فى جميع الأوقات تقريباً، وكان براندون قد مارس بعض السلوكيات غير التعاونية فى مجموعته. وغالباً كان يصّر على أن يقوم بعمله بمفرده، ويصاب بالتبلد إذا أجبر على الانضمام إلى المجموعة، ويرفض تنفيذ المهمة التى كلف بها، وكان يبدو فى بعض الأحيان ـ ربما بسبب اليأس ـ وكأنه قرر المشاركة فى نشاط التعلم التعاونى، ولكنه سرعان ما يحاول السيطرة على المجموعة بغض النظر عن المهمة المكلف بها، كما يحاول إرغام الآخرين على أن يعملوا بطريقته. وفى أحيان أخرى، كان يخبر زملاءه بالإجابات حتى يستطيع أن يخرج مبكراً لعدة دقائق قبل نهاية حصة العلوم. وكان معلم براندون يبذل قصارى جهده لكى يصل إلى طريقة لإقناعه بالتعاون مع المجموعة، لكن لم تجد معه أى استراتيجية وغالباً ما كان يتعرض للإحباط كل من يشترك فى هذا الأمر بما فى ذلك براندون نفسه، وأثناء تلك الفترة، التحق معلم براندون بإحدى حلقات العمل التى ينظمها المتخصصون حول تعليم الأطفال المتفوقين والموهوبين وقد أصيب بالدهشة عندما سمع المتخصص يصف أطفالاً تشبه ردود أفعالهم ردود أفعال براندون إلى حد كبير وباستخدام الإشارات التى تم تقديمها فى حلقة العمل ـ والتى استطاع المعلم بها مساعدة براندون على اكتساب موقف إيجابى من التعلم التعاونى، مما جعل لكل من يهمه هذا الأمر يشعر بسعادة كبيرة.

الفرق بين التعلم الجماعى التقليدى والتعلم التعاونى:

يخلط الكثيرون بين التعلم الجماعى والتعلم التعاونى بل إن بعضهم يعتقد أنه يستخدم التعلم التعاونى وهو فى الواقع يفتقد لجوهره، فهناك فرق جوهرى بين وضع الطلاب فى مجموعات ليتعلموا وبين صياغة موقف تعليمى تعاونى يسهم فيه الطلاب جميعاً بمشاركاتهم الايجابية، التعلم التعاونى لا يعنى أن يجلس الطلاب بجانب بعضهم البعض على نفس الطاولة ليتحدثوا مع بعضهم وكل منهم يعمل لانجاز المهمة المكلف بها. التعلم التعاونى لا يعنى تكليف الطلاب بتنفيذ مهمة محددة مع إشعارهم بأن على أولئك الذين ينتهون أولاً مساعدة زملائهم الأقل انجازاً. التعلم التعاونى لا يعنى تكليف مجموعة من الطلاب بتنفيذ تقرير ينجزه طالب واحد فى حين تكتفى بقية الطلاب بوضع أسمائهم على المنتج النهائى. وفيما يلى بيان ببعض الفروق بين التعلم التعاونى والتعلم الجماعى:

فى التعلم الجماعى ـ التقليدى ـ لا يعتبر الطلاب مسئولين عن تعلم بقية زملائهم عن أداء المجموعة عموماً، أما فى التعلم التعاونى فتظهر مسئولية كل عضو فى المجموعة تجاه بقية الأعضاء بشكل واضح.

إن أعضاء مجموعة التعلم الجماعى متماثلين فى القدرات، بينما تتميز مجموعة التعلم التعاونى بتباين أعضائها فى القدرات والسمات الشخصية. يتم تعيين قائد المجموعة فى التعلم الجماعى وهو المسئول عن مجموعته، أما فى التعلم التعاونى فكل الأعضاء يمثلون أدواراً قيادية. فى التعلم الجماعى يتجه اهتمام الطلاب نحو إكمال المهمة المكلفين بها فقط، أما هدف مجموعات التعلم التعاونى فهو الإرتقاء بتحصيل كل عضو إلى الحد الأقصى إضافة إلى الحفاظ على علاقات عمل متميزة بين الأعضاء. فى التعلم الجماعى نادراً ما يتدخل المعلم فى علم المجموعات، بينما نجد أن المعلم دائماً يلاحظ الطلاب ويحلل المشكلة التى ينشغل بها الطلاب ويقدم لكل مجموعة تغذية راجعة حول أدائها فى التعلم التعاونى.

ويوجد عدد من الفروق بين التعلم الجماعى النمطى الذى يظهر عادة فى الفصول والتعلم التعاونى .. ويمكن إيجاز هذه الفروق فى الجدول التالى :

التعلم الجماعى التقليدى	التعلم التعاونى
١ ـ تبنى أهداف التعلم التقليدى بحيث يبدى الطلاب اهتماماً بأدائهم وأداء كل أعضاء المجموعة .	١ ـ التعلم التعاونى مبنى على المشاركة الإيجابية بين أعضاء كل مجموعة تعلم تعاونية.
٢ ـ فى التعلم التقليدى لا يعتبر الطلاب مسئولين عن تعلم بقية زملائهم ولا عن أداء المجموعة عموماً.	٢ ـ فى التعلم التعاونى تظهر وبصورة واضحة مسئولية كل عضو في المجموعة تجاه بقية الأعضاء .
٣ ـ أعضاء مجموعة التعلم التقليدية متماثلة فى القدرات .	٣ ـ مجموعة التعلم التعاونى يتباين اعضاؤها فى القدرات والسمات الشخصية.
٤ ـ فى مجموعة التعلم التقليدية القائد يتم تعيينه وهو المسؤول عن مجموعته.	٤ ـ فى مجموعات التعلم التعاونية يؤدى كل الأعضاء أدواراً قيادية.
٥ ـ فى التعلم التقليدى يتجه اهتمام الطلاب فقط نحو إكمال المهمة المكلفين بها.	٥ ـ مجموعات التعلم التعاونى تستهدف الإرتقاء بتحصيل كل عضو إلى الحد الأقصى إضافة إلى الحفاظ على علاقات عمل متميزة بين الأعضاء .

التعلم الجماعى التقليدى	التعلم التعاونى
٦ ـ فى التعلم التقليدى فإن المهارات الاجتماعية (القيادة، بناء الثقة، مهارات الاتصال، فن حل خلافات وجهات النظر) يفترض وجودها عند الطلاب ـ وهو غالباً غير صحيح.	٦ ـ فى مجموعات التعلم التعاونى يتم تعليم الطلاب المهارات الاجتماعية التى يحتاجون إليها (القيادة، بناء الثقة، مهارات الاتصال، فن حل خلافات وجهات النظر).
٧ ـ فى التعلم التقليدى نادراً ما يتدخل المعلم فى عمل المجموعات.	٧ ـ فى مجموعات التعلم التعاونى نجد المعلم دائماً يلاحظ الطلاب، ويحلل المشكلة التى ينشغل بها الطلاب ويقدم لكل مجموعة تغذية راجعة حول أدائها.
٨ ـ لا يهتم المعلم فى تحديد الإجراءات لمجموعات التعلم التقليدية.	٨ ـ فى التعلم التعاونى يحدد المعلم للمجموعات الإجراءات التى تمكنهم من التأمل فى فاعلية عملها.
٩ ـ لا يوجد تعاون إيجابى بين الطلبة إذ يعمل الطلبة على انفراد ونادراً ما يقارنون إجابتهم معاً.	٩ ـ تعاون إيجابى بين أفراد المجموعة، فالطلبة إما أنهم يعومون معاً أو يغرقون معاً والاتصال اللفظى بينهم يكون وجهاً لوجه.
١٠ ـ التطفل فى العمل؛ بعض الطلبة يدع الآخرون ينجزون معظم وظائفهم.	١٠ ـ بالرغم من أن الطلبة يعملون معاً إلا أنه توجد مسؤولية فردية فى العمل أيضاً؛ إذا ينبغى على كل طالب أن يتقن النشاطات.
١١ ـ لا تدرس المهارات الاجتماعية على نحو منظم.	١١ ـ يدرس المعلمون المهارات الاجتماعية اللازمة لإنجاح عمل المجموعات.
١٢ ـ لا يراقب المعلمون تصرفات الطلبة بشكل مباشر، بل ربما يعملون مع بعض الطلبة أو ربما يقومون بأعمال أخرى	١٢ ـ المعلمون يراقبون تصرفات الطلبة (موجه ومرشد).
١٣ ـ لا يجرى عمل الطلبة من خلال المناقشة بإستثناء بعض الملاحظات العامة كما يقول المعلم هذا «عمل جيد» أو «فى المرة القادمة» أو «حاول الإسراع فى العمل».	١٣ ـ التغذية الراجعة ومناقشة النتائج يعدان جزءاً لا يتجزأ من عمل المجموعات عند استخراج النتائج وقبل البدء بنشاط آخر.

كما استعرض بعض الباحثين أهم الفروق بين التعلم التعاونى والتعلم التقليدى فى عدد من النقاط يمكن تلخيصها فيما يلى:

١ـ **التفاعل الإيجابى**.. يقوم التعلم التعاونى على أساس التفاعل الإيجابى المتبادل بين أعضاء مجموعة ا لتعلم التعاونى حيث تصاغ أهداف التعلم التعاونى بطريقة تراعى اعتماد الطالب على أداء بقية أعضاء المجموعة أكثر من اعتماده على أدائه الخاص.

٢ ـ **المسئولية الفردية**.. تحدد مجموعات التعلم التعاونى مسئولية معينة لكل فرد فى المجموعة حيث يسند إلى كل طالب دور خاص يتمثل فى تفوقه العلمى فى المادة التعليمية ولتحقيق هذا يزود كل طالب بتغذية راجعة إلى الكيفية التى يتقدم بها كل فرد داخل المجموعة حتى يمكن تحديد الفرد الذى يحتاج إلى تدعيم وتشجيع أكثر.. أما فى التعلم التقليدى فلا تقع أدنى مسئولية على الفرد ولا يكون له مساهمة فى الموقف التعليمى وتطويره.

٣ ـ **الخصائص الشخصية لأعضاء المجموعة**.. يختلف أعضاء المجموعة الواحدة فى خصائصهم الشخصية وقدراتهم فى حالة مجموعات التعلم التعاونى وذلك عكس الحال فى مجموعات التعلم التقليدى التى يلاحظ فيها تجانس جميع أعضاء المجموعة الواحدة فى خصائصهم الشخصية وقدراتهم.

٤ ـ **قيادة المجموعة**: يقود المجموعة جميع الأعضاء فى حالة التعلم التعاونى بعكس المجموعة التى يقودها فرد واحد فى حالة التعلم التقليدى.

٥ ـ **التدعيم والتشجيع**.. يكون المتعلم فى مجموعة التعلم التعاونى مسئولاً عن تعليم غيره ومن ثم فإن أعضاء المجموعة الواحدة يتوقعون الحصول على التدعيم والتشجيع من بعضهم البعض وذلك للتأكد من مساهمة جميع أعضاء المجموعة فى إنجاز العمل.. أما فى حالة مجموعات التعلم التقليدى فمن النادر أن يتحمل الطالب مسئولية تعليم طالب آخر داخل المجموعة.

٦ ـ **أغراض الطالب**.. تتلخص الأغراض التى يرجى من الطالب الوصول إليها فى وصوله إلى أقصى درجة من علاقات العمل مع الطلاب ـ أما فى حالة مجموعات التعلم التقليدية فالتركيز ينصب على إتمام المهمة فقط.

٧ ـ **المهارات الاجتماعية** .. لكى يعمل الطالب بشكل تعاونى فإنه يحتاج إلى بعض المهارات الاجتماعية مثل (مهارات القيادة، مهارات الاتصال، ومهارات إثارة الآخرين، مهارات إدارة وحل الصراعات) .. أما فى حالة مجموعات التعلم التقليدى فإن الطالب لا يحتاج إلى مثل هذه المهارات بل يحتاج إلى مهارات شخصية تعلم فى أغلب الأحوال بطريقة خاطئة.

٨ ـ **دور المعلم** .. يقوم المعلم فى مجموعات التعلم التعاونى بملاحظة أعضاء المجموعة، وتحليل المشكلات التى تواجههم أثناء العمل، ثم إبلاغهم بالتغذية الراجعة المتعلقة بالكيفية المثلى لإدارة العمل، بعكس الحال فى حالة مجموعة التعلم التقليدى.

٩ ـ **الطريقة التى تعمل بها المجموعة** .. يقوم المعلم فى مجموعات التعلم التعاونى بصياغة الإجراءات والمعالجات المتعلقة بالكيفية التى تعمل بها المجموعة .. أما فى حالة مجموعات التعلم التقليدى فتجد أن المعلم لا يعطى أى انتباه للطريقة التى تعمل بها المجموعة.

التعلم التعاونى والتعلم الذاتى

التعلم الذاتى:

يعرف التعلم الذاتى بأنه ـ العملية الإجرائية المقصودة التى يحاول فيها المتعلم أن يكتسب بنفسه القدر المقنن من المعارف والمفاهيم والمهارات والاتجاهات والقيم عن طريق الممارسات والمهارات الذى يحددها البرنامج الذى بين يديه، من خلال التطبيقات التكنولوجية التى تتمثل فى استخدام المواد والأجهزة والمواقف التعليمية.

وتوجد تعريفات عديدة للتعلم الذاتى وتتفق كلها على أن المتعلم هو محور العملية التعليمية كما أنه يقوم بتعليم نفسه بنفسه ويختار طريقة دراسته ويتقدم فيها وفقاً لقدرته وسرعته الذاتية.

ـ أن التعلم الذاتى نوع من أنواع التعلم الفردى لذلك يطلق عليه البعض الذاتى الفردى.

* **الأساس النفسى والتربوى لبرنامج التعلم الذاتى:**

أ ـ اعتبار أن كل تلميذ حالة خاصة فى تعلمه.

ب ـ مراعات الفروق الفردية فى التعلم.

ت ـ التحديد الدقيق للسلوك المبدئى للتلميذ.

ث ـ التحديد الدقيق للسلوك النهائى للتلميذ.

ج ـ مراعاة السرعة الذاتية لكل تلميذ أثناء التعلم.

ح ـ تقسيم المادة التعليمية إلى خطوات صغيرة هادفة.

خ ـ التسلسل المنطقى للخطوات التعليمية وتكاملها.

د ـ التعزيز الفورى، والتغذية الراجعة بعد كل خطوة.

ذ ـ الإيجابية والمشاركة فى التعلم.

ما لا يطلق عليه تعلم تعاونى:

ليس كل نوع من أنواع التعلم الرمزى (الذى يشمل أكثر من فرد واحد يجلسون ويتحاورون معاً أثناء التعلم أو التدريب) يمكن أن نطلق عليه التعلم التعاونى. فما يطلق عليه تعلم تعاونى هو الذى ينطبق عليه عناصر هذا التعلم الذى يتم بجلوس الطلاب جنباً إلى جنب فى المقاعد أو حول طاولة واحدة يتحدثون مع بعضهم بينما يقومون بمهام التعلم بصورة فردية: ومن ثم فهناك أنواع من التعلم الرمزى لا تعد تعلماً تعاونياً لعل من أبرزها ما يلى:

١ـ التعلم عن طريق مجموعات التعلم التقليدية:

وهى مجموعة التعلم صغيرة العدد التى تكلف كل منها بأداة مهام معينة إلا أنه ينتفى فيها عنصر الاعتماد الإيجابى المتبادل أو عنصر التفاعل الإيجابى أو عنصر معالجة المجموعة ـ سالفة الذكر ـ ومن أنواع هذه المجموعات:

(أ) مجموعة العمل المعملي المخبري التقليدي:

التى يشكلها المعلم عشوائياً فى كل مرة من طالبين أو أكثر للقيام بتجربة أو نشاط مخبرى وعادة ما يكون الغرض من تشكيلها هو عدم وجود أجهزة وأدوات لكل طالب للقيام بالتجربة.

(ب) مجموعة التعلم الكاذبة:

التى يتم فيها توزيع الطلاب لأداء عمل أو مهمة أو نشاط.

٢ـ تعلم الرفاق (الأتراب):

الذى يتم عن طريق قيام طالب متفوق تحصيلياً بتعليم طالب منخفض تحصيلياً.

٣ـ التعلم الذي يتم في جلسات المناقشة:

ومنها جلسات حلقات البحث (السيمينار) والعصف الذهنى ومجموعة التشاور.